

العمارة الفارسية

تمتد جذور الحضارة الفارسية إلى الألف الثالث والثاني قبل الميلاد، أما حضارة الفرس المعمارية فيمكن دراستها منذ أواخر الألف الثاني والألف الأول قبل الميلاد.

يمكن تقسيم الحضارة الفارسية إلى العصور التالية:

- 1- **عصر الميديين:** ويمتد من عام /1100-558/ قبل الميلاد، والبقايا المعمارية من هذه الفترة قليلة جدا ولا تساعد على دراستها بشكل جيد.
- 2- **عصر الأخمينيين:** ويمتد من عام /558-331/ قبل الميلاد، زمن اجتياح الاسكندر المقدوني للشرق. ويوجد العديد من البقايا المعمارية في عدة مواقع أثرية.
- 3- **عصر البارثيين:** ويمتد من نهاية القرن الثالث قبل الميلاد وحتى الربع الأول من القرن الثالث الميلادي، وأهم مباني هذا العصر هي مباني مدينة برسو بوليس.
- 4- **عصر الساسانيين:** يمتد من القرن الثالث الميلادي حتى عام /642/ ميلادي مع بداية الفتح الإسلامي للشرق.

ولكن قبل دراسة العمارة الفارسية، لا بد لنا من التعرف على مجمل العوامل الطبيعية، التي لعبت الدور الأساسي في صياغة أسلوب وشكل العمارة الفارسية. وهي العامل المناخي والطبيعة الجيولوجية والعامل الديني والاجتماعي.

1- المناخ والطبيعة الجيولوجية:

تمتاز بلاد فارس (إيران) بمناخ جاف، حيث يكون الصيف حاراً، والشتاء بارداً وقاسياً، لذلك نرى أن الأبنية الفارسية كانت متوافقة ومنسجمة مع الشروط المناخية السائدة في البلاد.

أما بالنسبة للطبيعة الجيولوجية فإن الأراضي الفارسية تتميز بكثرة الصخور ولا سيما الصخور البركانية، كما أن سهول فارس تتميز باحتوائها على الصخور الصلبة من مختلف الأنواع، وجبالها المحيطة بها وفر لها كميات كبيرة من الأخشاب، التي استفاد منها المعمار في العمارة بشكل عام، وبالتسقيف بشكل خاص.

وكثرة الحجارة وتوفرها دفع بالمعمار الفارسي إلى استخدامها في إنشاء الأعمدة، كحوامل رأسية على الرغم من استخدامه للبن والقرميد بكثرة في البناء.

2- العامل الديني:

لقد آمن الشعب الفارسي القديم بالقوى الطبيعية ولا سيما الشمس والنار التي عبدها، لأنها مصدر الضوء والحرارة، وكانوا يؤمنون بأن الطبيعة تضم قوى الخير والشر، فكانوا يصعدون إلى الهضاب لإيقاد النار لتخليص أرواحهم من الشرور.

لذلك لم يهتم الفرس بالعمارة الدينية، ولم يكن الحاكم لديهم بمرتبة الإله، مع أن بعض الحكام أطلق على نفسه لقب الشاهنشاه (ملك الملوك)، ومع ذلك كان الشعب الفارسي يمتاز بالطاعة التامة للحاكم، فأقواله هي قوانين لا بد من تطبيقها، فهو يملك كل شيء وله مطلق الصلاحية في كل التصرفات المتعلقة بشأن البلاد. ونرى أن التقدم والتطور المعماري كان من خلال بناء القصور الملكية في أغلب المدن الفارسية.

العمارة المدنية:

وتشمل بناء المساكن والقصور، بالنسبة للمساكن: لا تتيح لنا طبيعة مواد البناء (اللبن والقرميد)، التعرف بشكل واضح على أسلوب التصميم المتبع في بنائها. مع أن بقايا بعض المساكن تدل على أنها تشبه المساكن الرافدية، من حيث وجود الفناء الداخلي فيها. وطريقة تسقيفها بالأسقف المائلة أو العقود والقباب. وكان يحيط بالمسكن حديقة واسعة نسبياً، وتنتشر

غرف المنزل في طابق أو طابقين أو أكثر. ويضم المسكن الفارسي غالبا مستودعات (أقبية أرضية) تتسم بالبرود لحفظ المواد الغذائية والمشروبات في داخلها.

أما **القصور**: وهي الأهم وخاصة القصور المبنية في العصر البارثي، فهي نموذج عن القصور الراقية إذ أنها تقوم على مصطبة مرتفعة يصعد إليها عن طريق درج واسع، وتختلف عن القصور الراقية، بأن الأقسام المخصصة لإقامة أفراد العائلة والحاشية، إضافة لأقسام التخديم كانت كلها مبنية من القرميد لتتوافق مع الشروط المناخية، أما الأقسام المخصصة للاستقبال وقاعة العرش فقد بنيت بالحجارة والقرميد، واستخدمت فيها الأعمدة الحجرية كوامل رأسية للأسقف بكثرة وخاصة في قاعات الاستقبال (العبادانا).

وقد تميزت القصور الفارسية بالمداخل الضخمة التي تتقدمها التماثيل المركبة، وذلك على غرار القصور الراقية والحثية. ومن أهم الأمثلة على القصور الفارسية: مجموعة القصور في مدينة الفرس (برسوبوليس) وقصر كسرى وقصر داريوس الذي بني بين عامي 465-485/ قبل الميلاد، ويحتوي على صالة أعمدة فيها 72/ عمود، ويحيط بها ثلاث حجرات وثلاثة مداخل مغطاة بأروقة، وقد بلغت مساحته حوالي 24/ ألف متر مربع، ومن القصور الفارسية الهامة أيضا قصر اكسركيز.

العمارة العسكرية:

تميزت حياة الفرس بكثرة الحروب في مختلف مناطق الامبراطورية وخارجها ولكن أهم حروبهم كانت مع الإغريق، في الفترة الواقعة بين القرن السادس والرابع قبل الميلاد، ومع الرومان بعد القرن الأول الميلادي وحتى أواخر القرن السادس الميلادي. وهذا ما نتج عنه اهتمام متزايد بإنشاء التحصينات العسكرية الدفاعية، حول المدن وفي داخلها حول القصور.

وقد دلت الكشوف الأثرية في بعض المدن الفارسية، أن الفرس قد اعتمدوا في بناء تحصيناتهم على حفر خندق واسع يحيط بالمدينة لملئه بالماء في حالة الحصار. ويلي الخندق سور ذو جدران مرتفعة، تبلغ سماكتها في غالب الأحيان أكثر من 20/ مترا وارتفاعها 18/ مترا، ويلي جدار السور الخارجي جدار آخر ارتفاعه أقل من الأول وقد يصل إلى 10/ أمتار، ويلي الجدار خندق آخر، كما يلي الخندق الثاني سور ثالث أقل ارتفاع.

ويوجد، بالإضافة إلى تلك الأسوار والخنادق، قلعة محصنة في وسط المدينة مدعمة أيضا بالأبراج الموزعة بشكل يموه على العدو وجودها، إضافة إلى الأبراج البارزة عن جدار سور القلعة، والتي تضم شرفات دفاعية بارزة، تسمح بمراقبة العدو دون التعرض لنباله، لأن جدران الأسوار مجهزة بآماكن مخصصة للحماية والدفاع ومدعمة بالعديد من الأبراج المربعة الشكل والتي تضم العديد من مرامي السهام.

العمارة الدينية:

إن عبادة الفرس القدماء للقوى الطبيعية وخاصة الشمس والنار، قد أدت إلى إهمالهم بناء المعابد، إذ كانوا يؤدون طقوسهم الدينية في قمة جبل حول بناء مسقطه الأفقي ذو شكل مربع أو مستطيل مبني من الحجارة، ويشبه في شكله البرج حيث يصعد إليه بدرج، وتكون الصلاة والعبادة حول النار المشتعلة في أعلى البرج.

أما بالنسبة للعمارة الجنائزية فكانت المقابر على شكلين رئيسيين الأول: وهو عبارة عن بناء مستطيل الشكل مبني بالحجارة المنتظمة فوق المصطبة متدرجة، والثاني: كان عبارة عن مقابر على شكل برج بداخله ضريح الميت، وقد انتشر هذا النموذج في العهد الساساني. كما كان هناك بعض النماذج الفريدة لقبور منحوتة في الصخر.

العناصر المعمارية الفارسية:

ضمن العناصر المعمارية الفارسية يمكن وضع الأعمدة، التي كان لها شأن هام في العمارة الفارسية. كما أن الزخارف والنقوش قد أخذت مكانة عظيمة بالنسبة للعمارة الفارسية، وكذلك الأسقف بالرغم من أنها كانت من الخشب، إلا أنها كانت هامة بسبب شكلها، علما بأن الأسقف لم تقتصر على الخشب بل كانت تنبى من القرميد على شكل قباب وعقود أيضا.

الأعمدة الفارسية:

تتميز الأعمدة الفارسية بالطول والرشاقة، ويتخذ العمود من قاعدته إلى تاجه شكلا مخروطيا تقريبا، وهو بذلك لا يتشابه مع العمود المصري الأقدم أو الإغريقي المعاصر تقريبا. يقسم بدن العمود الفارسي إلى /32/ أو /52/ مسرى شاقول مجوف، والقاعدة على شكل ناقوس مقلوب مزين بزخارف نباتية. وارتفاع القاعدة يساوي 1/10 من ارتفاع العمود الكلي، الذي يعادل /13/ مرة ضعف قطره.

ولعل أهم ما يميز العمود الفارسي هو التاج الذي يتألف من ثورين متدارين راكعين على ركبتهما، ويرتكز التاج في العمود الفارسي على عنق العمود الاسطواني الخالي من الزخارف، أو على عنق يضم زخارف على شكل حلزونات ملفوفة، ويبلغ ارتفاع التاج 1/5 ارتفاع العمود الكلي.

أما في أواخر العهد الفارسي القديم (عصر الساسانيين من 225-642 ميلادية) فقد ساد استخدام الأعمدة المتأثرة بالأعمدة الإغريقية والرومانية على السواء.

الزخارف والنقوش:

لقد اتصفت المباني الفارسية بالضخامة والترف الزخرفي، الذي لم يكن له نظير في الفنون المعمارية المعاصرة. وكانت الزخارف تتخذ أشكالا متنوعة، يمكن حصرها في نوعين رئيسيين من الزخارف:

- 1- الزخارف المرسومة بالألوان: وكانت تضم نماذج متعددة، منها ذات أشكال نباتية مثل أوراق اللوتس وسعف النخيل وأغصان الشجر.
- 2- الزخارف المنفذة بطريقة النحت النافر: كانت تتضمن أشكالا حيوانية وإنسانية تعبر عن مواضيع اجتماعية تتعلق بالصيد والاستقبال، أو تخليد بعض الحوادث الحربية الهامة.

وكانت مداخل القصور والواجهات هي الأماكن المفضلة للنقوش النافرة، بينما الجدران الداخلية والسقوف هي المكان الأنسب للرسوم الملونة.

التسقيف:

استعمل الأخمينيون والبارثيون الأسقف المستوية المنفذة بواسطة بلاطات خشبية مرصوفة، تركز على منتصف تيجان الأعمدة، وتفصل بين البلاطات مسافات مغطاة بألواح خشبية تعلوها طبقة سميكة من الطين، وكانت الأسقف المستوية غالبا ما تميل قليلا نحو أحد الطرفين، لتسهيل تصريف مياه الأمطار. وتبرز تيجان الأعمدة الواقعة في الأطراف قليلا عن العتب الذي يحمل سقف واجهة المبنى.

استبدلت الأسقف المستوية في العهد الساساني بالقباب والعقود والأقبية، وكانت القباب تركز على العقود بواسطة زوايا مثلثية كروية، وذلك لتحويل الشكل المربع إلى دائري. واستخدم القرميد في إنشاء هذه القباب.

أما بالنسبة للأبواب والنوافذ: فقد أحاطوها بإطارات حجرية قوية، وكان ارتفاع المدخل يعادل مرة ونصف أو مرتين ونصف من عرضه، تتقدم المداخل تماثيل مركبة نصفها إنسان ونصفها حيوان مجنح، والغاية من وضعها أمام المداخل طرد الأرواح الشريرة، وإعطاء القوة والضخامة للمبنى.

السمات العامة للعمارة الفارسية:

يمكن القول أن العمارة الفارسية كانت نتاجا متميزا ومتطورا له كل الأصالة والعراقة، بالرغم من أنها لم تصل إلى التكامل الذي وصلت إليه العمارة المصرية أو العمارة الراقية.

رغم تأثر المعمار الفارسي بعمارة وادي النيل والأناضول وبلاد الرافدين، إلا أنه أراد أن يعبر عن القوة والضخامة في تصاميمه ومخططاته، وذلك باستخدامه للنسب الكبيرة في إنشاء الغرف والقاعات. وكان استخدام الأعمدة لأداء وظيفتين: إنشائية لحمل السقوف وزخرفية تعطي للمبنى رونقا وجمالا (مثل العمارة المصرية). ومع ذلك فإن المعمار الفارسي لم يستطع الرقي والوصول إلى درجة الكمال في إنشاء الأعمدة، أسوة بالأعمدة المصرية الأقدم أو بأعمدة العمارة الإغريقية المعاصرة للأعمدة الفارسية تقريبا.

د. عبير شدود